محمد عبد الوهاب

مطرب الشعب.. الأرستقراطى

- تلميذ أمير الشعراء
- ٧٠ عاما من الفن قدم خلالها أكثر من ١٠٠٠ أغنية ولحن
- عرف أهمية السلطة فتقرب من أصحاب النفوذ وتعلم الكثير من فنانى المناطق الشعبية
- صاحب الأداء السهل الممتنع.
- أول من فصل اللحن على الصوت

هو نهر من العطاء الفنى الخالد.. أثرى الحياة الفنية بمئات الألحان والأغانى على مدى ٧٠ سنة.

نشأ عبد الوهاب فى أسرة متدينة، وكان أبوه مؤذناً لمسجد الشيخ عبد الوهاب الشعرانى، وكان فخوراً بانتسابه له بصلة الدم.

ووضعت البيئة الشعبية والفقر الذى يخيم عليها، أول ملامح شخصية الطفل محمد، فنشأ وهو يمقت الفقر والحياة الهامشية. وتاقت نفسه لأن يكون واحداً من أبناء الطبقة الأرستقراطية، الذين يراهم كلّما سنحت له فرصة الخروج من السياج الحديدى للحى الشعبى، الذى قُدر له أن يُولَد ويتربى فيه.

كان يختلس من الزمن أوقاتاً غير قصيرة ليذهب إلى المقاهى. ويقف فى مكان خفى خلف «التخت» يستمع للتواشيح والمواويل والأدوار والأغانى، وبسبب هذه الرغبة الجامحة عنده فى الاستماع لكبار المنشدين ناله أذى كبير من والده. الذى كان يدفعه دفعاً لحفظ القرآن ويحاول إدخاله فى نطاق الصوفية، إلا أن محمد عبد الوهاب بدأ يرسم أول خطوط التوجه نحو الفن الأصيل. ففى حين تربّى فى مهد الثروة الفنية من خلال عالم صوفى ورثه عن أبيه، فقد وجد نفسه فى مهد ثورة سيد درويش فى الموسيقى.

تلميذ أمير الشعراء

فى إحدى الليالى التى حملت البُشرى إلى عبد الوهاب، كان أمير الشعراء أحمد شوقى يُشاهد إحدى المسرحيات، عندما انتهى الفصل الأول رأى طفلا يقف على المسرح بين فصلى المسرحية ويغنى، وبدأ الشاعر يستمع له، وأُعجب بملامح صوته القوى ومخارج حروفه، فأمر بإحضاره إليه، وأنتابت محمد عبد

الوهاب، حالة من الفزع، لكن الشاعر هدأ خاطره، وأخبره أنه أُعجب بصوته الذى يُعد ثروة حقيقية. إلا أنه اتفق مع حكمدار العاصمة الإنجليزى على أن يمنع هذا الطفل من الغناء حتى يتجاور سن البلوغ وإلا فسدت أحباله الصوتية. وعمد إلي رعايته، وأوصاه بالدراسة، بل إن رعاية أحمد شوقى له وصلت إلى حد أن دفعه إلى الذهاب إلى الملحن محمد القصبجى ليتعلم على يديه العزف على آله العود. لكن المعهد الحقيقى الذى تعلم فيه عبد الوهاب حقاً هو اقترابه من أمير الشعراء ليقضى معظم وقته معه.

وبعد أن يُوَدع عبد الوهاب عالم شوقى فى وقت متأخر من الليل، يخرج إلى الشارع وفى عقله ووجدانه حصيلة ضخمة يسترجعها فى سكون الليل، وكان يمرّ على أمين المهدى، أمهر عازف عود فى عصره فيجلس معه وقتاً يتعلّم فيه ويستوعب، ثم يمرّ على الشيخ درويش الحريرى، فيستمتع فى جلسته الليلية بعناصر متعددة من الموشحين والمبتهلين والمنشدين.

كان طموح عبد الوهاب واندفاعه نحو الطبقة الأُرستقراطية يدفعانه إلي الفن الرفيع، رغم انتمائه إلى الطبقة الفقيرة، فكان يولع بالأبهة والفخامة والمظهر البراق، وهذا ما تعلمه من عالم أحمد شوقى، ولكى يربط نفسه بالشارع المصرى والحارة والمقهى والقرية كان يدرس المواويل الشعبية فى أغنياته وكانت كلها مواويل شائعة فى ذلك الوقت.

وسوسة

كان عبد الوهاب يحب الحياة جداً ويخشى على نفسه المرض والعدوى إلى درجة الوسوسة، وقد حدث أن اتصل به صحافى بالهاتف وطلب منه موعداً للقاء صحافى، وتم تحديد الموعد وذهب الصحافى إليه في منزله، وكان معه مصور صحافى، وبينما كان عبدالوهاب ينزل درجات السلم على مهل ،سعل المصور بصوت مسموع فاندفع عبد الوهاب عائدا من حيث أتى، وأرسل لهما من يقول «إن الأستاذ قد أجل الموعد لأجل غير مسمى». دون إبداء أى سبب.

كان عبد الوهاب يصرّ على ألا يتنازل عن الطبقة الأرستقراطية التى وصل إليها بعد جهاد جهيد، لدرجة أنه لا يقيم علاقة مع أى أحد، ولا يأخذ المبادرة إلى تشجيع الموهوبين إلا إذا أثبت الموهوب جدارته. والدليل على ذلك أنه ظل صديقا لعبد الحليم حافظ أعواماً طويلة. ولم يفكر فى التلحين له إلا بعد أن أصبح عبد الحليم فناناً معترفاً به.

الحلم الأرستقراطى

ومن أجل هذا كان عبد الوهاب منذ صغره يسعى سعياً حثيثاً إلى الدخول فى الطبقة العليا. وأن يكون واحداً منها، وهذا هو السبب الذى جعله يتنقل بين منزل وآخر أملا فى تحقيق هذا الحلم، فقد ولد فى المنزل رقم ٢٤ شارع الشعرانى الجوانى، التابع لقسم الجمالية وليس باب الشعرية كما أشيع، ومن عام ١٩٢٥ وحتى عام ١٩٣٣ عاش عبد الوهاب فى منزل رقم ١ شارع اسماعيل الفلكى. ومن عام ١٩٣٣ وحتى عام ١٩٤٢م انتقل عبد الوهاب إلى البيت رقم ٤ شارع سويرس بك فى حى العباسية، ويقع على اليسار من مدرسة فؤاد الأول الثانوية، وكان فى هذه المدرسة آنذاك الطالبان محمد أنور السادات وإحسان عبد القدوس. اللذان كانا يحرصان على مشاهدة عبد الوهاب عند عبوره الشارع. ومن سنة ١٩٤٢ وحتى ١٩٥٤م عاش عبد الوهاب فى بيت فى شارع افراموس المتفرع من شارع الهرم فى الجيزة، ومن عام ١٩٥٤ وحتى وفاته فى ٣ مايو ١٩٩١ عاش فى عمارة ثريا رقم ٣ شارع الفردوس المتفرع من شارع محمد مظهر فى الزمالك جوار مكتبة القاهرة الكبرى، وفى مواجهة دار الكتب على الضفة الأخرى من النيل، حتى حياته الاجتماعية كانت ترتبط فى تطورها برغبته العارمة فى الانتماء إلى الطبقة المتميزة، فقد تزوج محمد عبد الوهاب ثلاث مرات، الأولى كانت بزبيدة الحكيم من عام ١٩٣١ إلى عام ١٩٤١م، والثانية كانت بإقبال نصّار من عام ١٩٤٤ إلى عام ١٩٥٨، ثم تزوج بنهلة القدسى، الزوجة الثالثة، (وهى تنتمى إلى الطبقة التى تمنى طواله عمره أن يكون أحد افرادها)، من ١٩٥٨ إلى عام ١٩٩١، وقد أنجب أبناءه الخمسة محمد

وأحمد وعفت وعصمت وعائشة من زوجته الثانية، وقد ماتت ابنته بعد موته بأربعين يوما.

مواقف وطرائف

* أثناء بروفات (إنت عمرى) بدأ العمل فى بيت عبد الوهاب، وكانت أم كلثوم وعبد الوهاب يسهران كثيراً إلى وقت متأخر من الليل، وكانت أم كلثوم تدخل غرفة نوم نهلة القدسى لتقول لها: «يا بت فيه حد يكون عنده عبد الوهاب وأم كلثوم ويدخل ينام» ثم تداعبها وتخرج.

* فى عام ١٩١٧ بعد وفاة الشيخ سلامة حجازى حاول ابنه عبدالقادر حجازى استكمال مسيرة والده، وقال عن نفسه إنه خليفته رغم أنه لم يكن موهوباً ولا مقبول الصوت، فنصحه أحد أصدقائه بالاستعانة بالفتى عبد الوهاب أو بصوته تحديداً من تحت «الكمبوشة»، بينما يقوم عبد القادر بتحريك شفتيه وكأنه يغنى، لكن الأمر انتهى بفضيحة كبرى أمام الجمهور، لاختلاف غناء عبد الوهاب مع مخارج ألفاظ عبد القادر

* بعد وفاة الشيخ سيد درويش عمل عبد الوهاب مع منيرة المهدية فى مسرحية كليوباترا، وحدث أن ارتمت كليوباترا على صدر أنطونيو نحيل الجسم، عبد الوهاب فسقط على الأرض أمام الجمهور ومن فوقه كليو باترا ، مما أثار ضحكات الناس وانقلب الجو الرومانسى إلى جو كوميدى فوق المسرح، وقد ألمح بعض مؤرخى الموسيقى العربية، إلى أن عبد الوهاب عمد فى هذه المسرحية إلى الإيقاع بمنيرة فى مأزق.

* تعرض عبد الوهاب لموقف محرج عندما دُعى لسهرة مع كبار الشخصيات فى أحد فنادق القاهرة. فقد سارع إلى مصافحة مصطفى النحاس رئيس الوزراء آنذاك، الذى رفض قائلا: «لا أصافح المائعين. مش أنت اللى بتغنى لمسكين وحالى عدم من كتر هجرانك... ياللى تركت الوطن والأهل علشانك»، ويقول عبد الوهاب إنه أصيب بدوار على أثر ذلك وغادر الحفل.

* كان عبد الوهاب والموجى يستمعان لألحان بعضهما بعضا، وكان عبد الوهاب يرشح إلى الموجى المطرب أو المطربة التى تغنيها. واستمع عبد الوهاب ذات مرة، لأحد هذه الألحان دون أن يرشح أحدا وفوجئ الموجى بعبد الوهاب بعد أسبوع يغنيه بكلمات أخرى لحسين السيد بعنوان «أحبك وانت فاكرنى وأحبك وأنت ناسينى». غضب الموجى وذهب إلى عبد الوهاب محتجاً على هذا التصرف فضحك عبد الوهاب وقال له: «لقد أعجبت باللحن والأب من حقه عندما يعجب بإحدى كرافتات أبنائه أن يستعيرها».

مناصب وأوسمة

اختاره الموسيقيون سنة ١٩٥٦ نقيباً لهم، واختير فى العام ذاته رئيساً لاتحاد النقابات الفنية، كما انتخب رئيساً لجميعة المؤلفين والملحنين أكثر من مرة ١٩٧٤ و ١٩٧٧ و ١٩٧٩ و ١٩٨٠ و ١٩٨٦. وتم اختياره سنة ١٩٨١ ليكون عضواً فى مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتلفزيون المصريين، وعُين عضواً فى مجلس الشورى المصرى فى العام ذاته. ونال عبد الوهاب من التكريم الكثير، فقد كرمه الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العلم، ومنحه

عبد الوهاب على الشاشة

قدم الموسيقار محمد عبد الوهاب للسينما سبعة أفلام. كلها من إخراج صديقه محمد كريم. وظهر فى فيلم «غزل البنات» من إخراج أنور وجدى فى أغنية «عاشق الروح»، كما ظهر كضيف شرف فى فيلم «منتهى الفرح» من إخراج محمد سالم.

وأنتج محمد عبد الوهاب فيلم «الحب الأول» من بطولة جلال حرب ورجاء عبده وإخراج جمال مدكور. وفيلم «تاكسى حنطور» من بطولة محمد عبد المطلب وسامية جمال، وإخراج أحمد بدرخان، وفيلم «على بلد المحبوب» من إخراج حلمى رفلة، وبطولة سعد عبد الوهاب.

وأفلام عبد الوهاب السبعة هى:

* الوردة البيضاء، مع سميره خلوصى، سنة ١٩٣٣م.
* دموع الحب، مع نجاة على سنة ١٩٣٥م.
* يحيا الحب مع ليلى مراد، سنة ١٩٣٨م.
* يوم سعيد، مع سميحة سميح، سنة ١٩٤٠م.
* رصاصة فى القلب، مع راقية إبراهيم، سنة ١٩٤٤م.
* لست ملاكاً، مع نور الهدى وليلى فوزى سنة ١٩٤٦م.
* ممنوع الحب، أمام رجاء عبده، سنة ١٩٤٢م.

الرئيس أنور السادات رتبة «اللواء» الشرفية، وتم إطلاق اسمه على معهد الموسيقى العربية، وحصل على أوسمة من العديد من الدول من بينها الوسام العُمانى الأكبر من سلطنة عُمان ووسام الاستقلال من الأردن.

السهل الممتنع

تعامل عبد الوهاب مع صوته بذكاء إدارى غير مسبوق، ففى مرحلة الصبا والشباب كان صوته منطلقاً متوافراً له كل المحسنات الغنائية فى الأداء «العُرب» أى ذبذبات الصوت فى الغناء الشرقى، والتى تميز الأصوات القادرة المتمكنة التى رُبيت فى مدرسة المشايخ، تلك المدرسة الأصيلة والأساسية للغناء العربى عامة والمصرى بصفة خاصة. لكن عبد الوهاب طوع ألحانه فى خدمة صوته حسب المراحل السنية المختلفة وحسب متطلبات المراحل التى عاشها.

ونقل عبد الوهاب «الأداء الغنائى» عبر قرن من الزمان من غناء «المشايخ» الذى لا يقدر عليه إلا عتاولة المغنى إلى أداء بسيط هو السهل الممتنع.

وإذا كان صوت عبد الوهاب ظل منافساً لصوت أم كلثوم فترة طويلة فإن ألحانه ظلت منافسا قوياً للحنى أم كلثوم فى المراحل المختلفة التى مر بها صوتها. منذ أن لحن لها الشيخ أبو العلا محمد، إلى أن غنت لتلاميذ عبد الوهاب: محمد الموجى وكمال الطويل وبليغ حمدى، ومعهم سيد مكاوى. واستطاع عبد الوهاب أن ينشئ مدرسة لألحانه وأسلوبه فى الأداء تقف قوية فى منافسة مدرسة أم كلثوم باختلاف فروعها واتجاهاتها، ولحن عبد الوهاب القصيدة والأغنية والمونولوج والديالوج والأغنية الدينية والشعبية والوطنية، وعبد الوهاب أول من فَصّل «اللحن على الصوت» أبتداء من صوته نفسه إلى صوت شكوكو، الذى لحن له مونولوج «يا جارحة قلبى بقزازة. لماذا الهجر دة لماذا ؟».

ألف لحن وأغنية

وقدم موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، على مدى سبعين عاماً. من الفن والغناء والتلحين والموسيقى الخالصة أكثر من ١٠٠٠ أغنية ولحن، حيث بدأ التلحين بنفسه وبأسلوبه الخاص وهو فى العشرين من عمره، بعد أن كان يغنى للشيخ سلامة حجازى وعبده الحامولى وسيد درويش وغيرهم.

ولحن الموسيقار الكبير العديد من الألحان للأصوات النسائية والرجالية، التى ظهرت خلال القرن العشرين. وانتقل عبد الوهاب إلى رحمة الله تعالى، فى الثالث من شهر مايو (آيار) ١٩٩١.